الانشاء والمنشئون (١)

اذا أردنا ان نحكم على المنشئين بما انتهى الينا من خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم ومصنفاتهم وبدأنا بأهل القرن الأول للاسلام ، نرى على رأسهم أمير المؤمنين علي ابن ابي طالب (كرّم الله وجهه) ، فانه سيد البلغاء على الاطلاق ، وواضع بنيان البيان العربي . وكلامه كما قال العارفون بعد كلام الله وكلام رسوله (عليه الصلاة والسلام) أبلغ كلام ، ونهج البلاغة (٢) الذي جمعه الشريف الرضي من كلامه وشرحه ابن ابي الحديد كتاب الدهر الخالد . وقد عد كثير من الصحابة ائمة في الكتابة والخطابة (راجع «اعجاز القرآن» للباقلاني و «الاتقان» و «المزهر» للسيوطي)

ولم يؤثر عن عصور الجاهلية خطب ورسائل كثيرة لان التدوين لم يحدث في الامة العربية الاّ في أوائل القرن الثاني للهجرة ، وكانت العرب تعتمد على ذاكرتها ومحفوظها ورواياتها المتسلسلة . قال الرقاشي : ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره . ومعظم الذي أبقته الايام من أدب العرب لم يبرح محفوظاً في الخزائن لم يطبع واكثره محفوظ في جامعات اوربا ودور كتبها .

ختم القرن الاول بأمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز ، فان رسائله الموجزة وخطبه الغراء التي نقلها ابن سعد في « الطبقات الكبير » وابن الجوزي في « مناقبه » ، آية في البلاغة ، وفيها من ادب العرب مسحة وطلاوة ، ورسائله وخطبه في الادارة والسياسة على قلتها ، تربي فيمن يتدبرها ملكة الانشاء وتقف به على اصول الادارة العربية . ومن بلغاء هذا القرن زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي وقطري ابن الفجاءة وعمران بن حطان . وهذان الاخيران من خطباء الخوارج . وقد استغرقت

---

(١) نشرت أولاً باللغة الافرنسية في مجلة التعليم Bulletin de l'enseignement التي تصدر في بيروت (٢) جميع الكتب الواردة اسماؤها في هذا البحث مما طالعناه وتدارسناه وحكمنا عليه بأنفسنا .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أخبار الخوارج الذين خرجوا على الخليفة الرابع يوم النهروان ، جزءاً مهماً من كتاب «الكامل» للمبرد تمثل بها بلاغة الفوضويين والعدميين والشيوعيين في الاسلام

جاء القرن الثاني وقد نبغ في أوله عبد الحميد بن يحيى الكاتب ، وهو النهاية في البلاغة والفصاحة ، اختط للناس خطة الترسل والانشاء ، ثم عبدالله بن المقفع الذي أسلست له الكتابة قيادها ، فلم تعد له كهنة واحدة في باب التكلف ، بل كان في « اليتيمة » وسائر ما فاضت به قريحته من رسائله ابتداءً كما في ترجماته « ككليلة ودمنة » طبقة عالية في البلاغة ولو عُمّر ابن المقفع (عاش ستاً وثلاثين سنة) لابقى لنا امثلة في البيان ، يتخرج بها طلاب الادب من العرب ، على غابر الحقب . ونبغ في هذا القرن سهل بن هرون وهو بالقليل الذي وصلنا من رسائله نابغة في علمه وادبه ، وناهيك بمن كان الجاحظ ينوه به ، وينقل عنه في كتبه . وكان كثيراً ما يؤلف الكتاب وينسبه لسهل بن هارون فيجمع الناس على استحسانه ، اكثر مما كان لو نسبه لنفسه ، وكتابة سهل من السهل الممتنع ، لاحوشي فيها ولا مبتذل ، او كما قال الجاحظ في الكتاب « انهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً » ومن خطباء هذا القرن داود بن علي وشبيب بن شيبة ومن كتابه اسماعيل ابن صبيح كاتب الرشيد وعمر بن مطرف كاتب المنصور والمهدي والهادي والرشيد . وصالح بن جناح صاحب كتاب « الادب والمروءة » وكلامه رشيق دقيق مستفاد في الحكمة .

وكان يقال بلغاء الناس عشرة عبد الله ابن المقفع وعمارة بن حمزة وخالد بن يزيد وحجر بن محمد وانس بن ابي شيخ وسالم بن عبد الله ومسعدة ولهز بر وعبد الجبار بن عدي واحمد بن عدي واحمد بن يوسف . قال صاحب « الفهرست » ومن البلغاء الحدث ابراهيم بن العباس الصولي والحسن بن وهب وسعيد بن عبد الملك ولم يصل الينا من كلام هؤلاء الجهابذة شيء يذكر اللهم الا ما عرف من كلام ابن المقفع واحمد ابن يوسف والصولي والباقون دثرت كتاباتهم الا نتفاً قليلة لا يبنى عليها حكم

ومن كتاب هذا القرن أبو اسحاق الكاتب ابراهيم بن محمد المدبر وزير المعتمد على الله المتوفى سنة ٢٧٩ « صاحب النظم الرائق والنثر الفائق » وهو صاحب « الرسالة العذراء في موازين البلاغة وادوات الكتابة » التي نشرناها في « رسائل البلغاء »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وامتاز القرن الثالث بظهور الجاحظ (٢٥٥ هـ) الذي رزق الاجادة في كل ما كتب وهو رب البديهة في افكاره ومظاهر عمله وتقريره . ولم يعهد قبله ان تبرز الموضوعات المختلفة في هذا القالب الفتان، الذي يظهرها فيه غير متكلف ولا متعسف وكلماته كلما كررتها حلت ، وبقدر ما تتلوها تتجلى لك رقة معانيها ، ومتانة مبانيها ، وتدهش وأنت تطالع كلامه من تملكه ناصية اللغة وبراعته في استعمال الالفاظ في أماكنها وربما تساهل فأورد الفاظاً عامية في معرض كلامه لينقل الافكار بحالتها . ولم يكد يعهد مثله في المجودين من المؤلفين من يريك ببيانه الباطل حقاً ، والحق باطلاً ، يقول الشيء ونقيضه . ويقنعك في الاول حتى لا تظنك تقنع بعد بكلام ويرجع عليك بكلم طيب ، فينسيك ما اصاب في الاولى . وهكذا يلعب بالعقول كالسحر ولكنه السحر الحلال

افتح اي كتاب من كتب الجاحظ التي ابقتها الايام للمكتبة العربية ذخراً وفخراً ، تشهد العجب من تفننه وإبداعه ، وتدرك كيف تستجيب له المعاني ، وتنقاد الالفاظ برشاقتها وجزالتها ، وقد يشوب كلامه ببعض الظرف والهزل والنوادر احياناً لئلا يمل مطالعه هكذا تراه في « كتاب الحيوان » و « البيان والتبيين » و « البخلاء » و « المحاسن والاضداد » و « الحاسد والمحسود » وغيرها من رسائله وهي بضع وعشر رسائل مطبوعة وكل صفحة من صفحاتها أفيد من مجلد يرمته وممن يجيء بعد الجاحظ أبو حنيفة الدينوري صاحب كتاب « الاخبار الطوال » وابو حنيفة اكثر ندارة وابو عثمان (الجاحظ) اكثر حلاوة ، ومعاني ابي عثمان لائطة بالنفس ، سهلة في السمع ، ولفظ ابي حنيفة اعذب واغرب ، وادخل في اساليب العرب قال ابو حيان التوحيدي : والذي اقول واعتقده وآخذ به وأساهم عليه اني لم اجد في جميع من تقدم وتأخر الا ثلاثة لو اجتمع الثقلان (؟) على تقريظهم ومدحهم ونشر فضائلهم في اخلاقهم وعلمهم ومصنفاتهم ورسائلهم لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم ، وذكر الجاحظ والدينوري وثلث بأبي زيد احمد بن سهل البلخي ، ووصف كل واحد بألفاظ عجيبة .

ومما امتاز به هذا القرن ان علوم الاوائل التي بدئ بترجمتها في منتصف القرن الاول في دمشق بمعرفة خالد بن يزيد الاموي وعني بها عمر بن عبد العزيز أواخره

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

قد زادت العناية بها في بغداد على عهد المنصور العباسي ، ثم بلغت اشدها في زمن المأمون . وقد ادخلت هذه العلوم والصناعات في العربية روحاً جديداً فترجم اليها من اليونانية والسريانية والفارسية والهندية وغيرها فاغتنت اللغة ورأت من الاساليب والافكار ما لا عهد لها به . وهذا اول تأثير من آداب الامم الاخرى اصاب اللغة العربية فاصبحت لغة علم وصناعة . بعد ان كانت لغة شعر وحكمة فقط . وعصر المأمون هو في الحقيقة العصر الذهبي في الادب والكتابة والعلم وسائر مقومات الحضارة العربية .

قلنا ان احمد بن يوسف الكاتب هو من اوائل البلغاء ، وقد اورد بعض رسائله الصولي في كتاب « الاوراق » المخطوط وأورد له ابن طيفور صاحب « كتاب بغداد » المطبوع نموذجات من رسائله ، وفي كتب التراجم المطولة شيء عن كتاباته المسجعة على مثال السجع الذي يقع في كلام أئمة البلاغة في القرن الاول وناهيك برجل اعجب المأمون بعقله وادبه فستوزره واستكتبه . والكتاب المجودون في هذا القرن كثيرون ومنهم عمرو بن مسعدة وزير المأمون « وكان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها ، سديد المقاصد والمعاني » وصدق عليه ما قاله الرشيد في البلاغة : البلاغة التباعد عن الاطالة ، والتقرب من معنى البغية ، والدلالة بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى » وابو علي الدامغاني الوزير وابو الفتح البستي « صاحب الطريقة الانيقة في التجنيس النفيس البديع التأسيس »

ومن اهم من انتشرت كتبهم ابن قتيبة (٢٧٦) فهو ثاني الجاحظ بعلمه وجودة انشائه وتأثيره ، وفي كتابه « الامامة والسياسة » و « كتاب العرب » و « مختلف تأويل الحديث » و « الاشربة » و « المعارف » و « عيون الاخبار » و « ادب الكاتب » ما يدل على روح سام سار فيه الادب مع العلم سيراً متساوقاً . ويعد من كتاب الدرجة الاولى في القرن الرابع احمد بن يوسف المعروف بابن الداية (٣٤٠) بغدادي الاصل انتقل ابوه الى مصر وكان احمد من كتاب الدولة الطولونية وقد عرفناه من كتاب « المكافأة » الذي نشر له مؤخراً مع قطعة من كتابه « حسن العقبى » وهي عبارة عن حكايات فيها حكمة ومواعظ واعتبار آية في البلاغه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنهم ابو بكر الصولي (٣٣٥) صاحب كتاب « الاوراق » و « ادب الكتاب » واحمد بن عبد ربه (٣٢٨) صاحب « العقد الفريد » وجعفر بن قدامة ابن زياد الكاتب (٣١٩) . وعرفنا من اهل هذا القرن زمرة من الكتاب الذين زانوه باقوالهم وافضالهم ومنهم أبو الفضل بن العميد وزير بني بويه (٣٦٠) وكان ابوه ايضاً كاتباً مترسلاً من كتاب الدولة السامانية وابن العميد اول من فتح باب السجع واكثر من انواع البديع . وكان يقال فتحت الرسائل بعبد الحميد وختمت بابن العميد كما قيل بدىء الشعر بملك أي امرىء القيس وختم بملك اي أبي فراس الحمداني . وما قيل في ابن العميد يقال في الصاحب بن عباد (٣٨٧) فهو ايضاً ممن تناغى بالجناس . واكثر من الاسجاع وكان يقول . كتاب العصر اربعة . الاستاذ الرئيس يعني ابن العميد ، والاستاذ ابو القاسم يعني عبدالعزيز بن يوسف ، وابو اسحق يعني الصابي ، ولو شئت لذكرت الرابع يعني نفسه

ويجيء مع هذه الطبقة أبو بكر الخوارزمي (٣٨٣) وكان يميل الى طريقة ابن العميد في الكتابة و « رسائله » المطبوعة المشهورة مثال البلاغة والفصاحة على كثرة الاسجاع فيها حتى لا يكاد يعدوها . وقلما تفوته . واما بديع الزمان الهمذاني (٣٩٨) صاحب « الرسائل » و « المقامات » المشهورة فانه سار مع الطبع اكثر من الخوارزمي وكثيراً ما يترك التسجيع وانواع البديع . واذا استعملها فني مواطن خاصة وجمل معينة ثم يعود الى طبعه فتأخذ اقواله بمجامع القلوب . واكثر ما قرأناه من « رسائل الصابي » (٣٨٤) الصادرة عن الخلفاء وغيرهم ومنها ما طبع على حدة ومنها ما اقتبس في « صبح الاعشى » — قد افرغ في قالب من السجع البديع المستملح وقد يتخلى عنه في بعض التقاليد والعهود ، ولو تيسر له ان يطرح السجع على طريقة البديع لجاءت كتاباته مفخر الاسلاف ، واعظم معلم للاخلاف

وممن نبغ في ذاك القرن ابو الفرج الببغاء وعبدالله بن عمرو الفياض كاتب سيف الدولة ونديمه وابو القاسم علي الاسكافي النيسابوري وكان من علو الرتبة في النثر وانحطاطها في النظم كالجاحظ . وعلي بن هند وصاحب « الكلم الروحانية » ويحيى ابن عدي صاحب « تهذيب الاخلاق » او (سياسة النفس) (٣٦٤) وابن حبان البستي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

(٣٥٤) صاحب «روضة العقلاء» والحاتمي صاحب «الرسالة الحاتمية» التي شرح فيها ما جرى بينه وبين ابي الطيب المتنبي من اظهار سرقاتـه وابانة عيوب شعره والقاضي التنوخي (٣٨٤) صاحب «النشوار» و «الفرج بعد الشدة» وقدامة بن جعفر الكاتب (٣٣٧) صاحب «نقد الشعر» و «كتاب الخراج» وابن نباتة صاحب «الخطب» المشهورة. ومنهم ابو جعفر محمد بن العباس وزير المكتفي والمقتدر وابو منصور البغوي (٣٧٥) ورأس ادباء هذا القرن ابو العلاء المعري والشعر غالب عليه وكتابته مصنعة فيها كثير من عويص اللغة وسبكها لا يخلو من يبوسة وجفاء طبع ولكن «رسالة الغفران» التي كتبها رداً على رسالة ابن القارح وكلاهما مطبوع اشبهت رواية دانتي الشاعر الايطالي La divine comédie و كانت من اعظم الروايات الخيالية الدالة على ان اعمى المعرة كان معلماً لنابغة ايطاليا في الشعر والخيال. وبعض الباحثين من المستشرقين في اوربا على ان دانتي في روايته الالهيـة المؤلفة من ثلاث روايات وهي جهنم والمطهر والجنة التي ألفها بين سنتي ١٣٠٠—١٣١٨م قد اقتبسها ولاسيما رواية جهنم من رسالة الغفران للمعري ونسج على منواله في التصور

وان ما كتبه المعري على ديوان ابي تمام الطائي وسماه (ذكرى حبيب) وعلى ديوان ابي عبادة البحتري وسماه «عبث الوليد» وما كتبه على ديوان ابي الطيب المتنبي وسماه «معجز احمد» يدل على احاطة المعري باسرار العربية وفهم كلام العرب ومراميهم وشدة ملكته في النقد الادبي. دع فلسفته في «لزومياته» و «دواوينه» فالمعري فيلسوف لغوي وليس بكاتب. ومنهم علي بن خلف صاحب «موادالبيان» الذي نقل القلقشندي في صبح الاعشى جزءاً مهماً منه.

***

وتميز القرن الخامس بظهور كثير من الكتاب فيه ومن اشهرهم الذين تركت الايام لنا شيئاً من كتاباتهم الامير قابوس بن وشمكير (٤٠٣) صاحب «كمال البلاغة» فان كتاباته هي الموسيقى برنتها، والشعر الفتان، ولكن بدون قافية وروي، الا ان الاسجاع غالبة عليه، مستحكمة في حواشي كلامه، آخذة بجماع أدبه خلافاً للثعالبي (٤٢٩) سيد كتاب هذا العصر، ومن اعظم مؤلفيهم في اللغـة والآداب، فان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مقدمة كتابه « فقه اللغة » طبقة عالية في الكتابة المرسلة في عصره وبعده ولو تخلى عن السجع في « يتيمة الدهر » التي ترجم فيها ادباء عصره على نحو ما تركه في « المضاف والمنسوب » و « لطائف المعارف » وغيرهما من كتبه ورسائله لما عيب عليه في شيء . ومثل ذلك يقال في ابن رشيق القيرواني (٤٥٦) صاحب «العمدة» احد امهات كتب الادب الذي انتقده ابو عبد الله بن شرف القيرواني في (رسائل الانتقاد) وكان الناس في الدهر القديم يعتمدون على اربعة كتب لاتقان فن الادب «البيان والتبيين» للجاحظ و (ادب الكاتب) لابن قتيبة و « الكامل » للمبرد و « الامالي » لابي علي القالي . ومن هذه الكتب الاربعة ما شرح ومنها ما اختصر ومنها ما انتقد . شرح « ادب الكاتب » لابن قتيبة ابن السيد البطليوسي وممن انتقدوا « امالي القالي » ابو عبيد البكري صاحب «معجم ما استعجم» في جزء لا يزال مخطوطاً سماه «التنبيه على اوهام ابي علي في اماليه »

وممن توفي على رأس الاربعمائة أبو حيان التوحيدي وهو مبتدع طريقة خاص به قرأناها في كتاب « المقابسات » و« رسالة الصديق والصداقة » و« الاشارات الالهية » . وذكر الثعالبي ثلاثة من كتاب آل بويه وهم ابو القاسم عبد العزيز بن يوسف وابو احمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي وابو القاسم علي بن القاسم القاشاني وأورد من كلامهم نموذجات لطيفة . ويعد في الطبقة الاولى من المؤلفين والكتاب المجيدين ابو الفرج الاصفهاني صاحب « الاغاني » وابو الحسن علي بن عبد العزيز صاحب كتاب « الوساطة » بين المتنبي وخصومه والامير عبد الله الميكالي فانه من الكتاب المجيدين والسجع غالب عليه ومثله ابو النصر العتبي واضع «تاريخ ابن سبكتكين» المعروف باليميني وهو التاريخ المسجع البديع ويعد مؤلفه من اكبر المنشئين

ومن كتاب هذا القرن ابن موصلايا (٤٩٨) وابن نافيا (٤٨٥) والموفق ابن الخلال صاحب ديوان الانشاء على عهد الحافظ العبيدي بمصر (وكانت له قوة على الترسل يكتب كما يشاء » وكان الغالب على الموفق بن الخلال في رسائله العناية بالمعاني اكثر من طلب السجع وكان فن الكتابة بمصر في زمن الدولة العلوية غضاً طرياً وكان لا يخلو ديوان المكاتبات من رأس يرأس مكاناً وبياناً ويقيم لسلطان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بقلمه سلطاناً ، » وممن أثرت بعض رسائله في هذا القرن هلال بن المحسن الصابيء (٤٤٨) حفيد ابي اسحق صاحب الرسائل ومؤلف كتاب « اخبار الوزراء » ومن المجيدين في الانشاء وان عدهم الناس في طبقة الحكماء احمد بن مسكويه (٤٢١) مؤلف «تهذيب الاخلاق » و«الفوز الاصغر» و«تجارب الامم» فان كتابته مثال الانشاء المرسل البديع ومنهم ابو طاهر محمد بن حيدر (٥١٧) صاحب « قانون البلاغة » وهو لم يطبع

وفي هذا العصر نبغ في الاندلس الوزير ابن زيدون (٤٦٣) في النظم والنثر و «رسالته» على لسان ولادة بنت المستكفي بالله أدبية عصرها من المرقص المطرب . ومثل ذلك يقال في الوزير ابن حزم الاندلسي (٤٥٦) فانه من أكتب العلماء في عصره ، ومن المكثرين من التأليف المجودين فيه . وناهيك بكتابه (طوق الحمامة) و (رسالته في الاخلاق) دليلاً على ادبه الراقي ، ومثالاً من انشاء عصره الذي أشبه في الادب عصر لويز الرابع عشر في فرنسا

ونشأ في هذا القرن والذي يليه في الاندلس طبقة من الكتاب ومنهم من تولى الوزارة . والغالب ان الكاتب المجيد في الدهر السالف يكون وزيراً كالخطيب المصقع في هذا الدهر يكون رئيس وزراء . مثل الباجي وابن الدباغ وابن الجد وابن القاسم وابي الاصبغ وابنه ابو عامر وابن سفيان وابن الحاج وابن عبدون وابن ابي الخصال وابن عبدالعزيز وابن السقاط وابن القصيرة (وكان هذا على طريقة قدماء الكتاب من اتيان جزل الالفاظ ، وصحيح المعاني ، من غير التفات الى الاسجاع التي أخذها متأخرو الكتاب اللهم الا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء) ومنهم ابن عبدالغفور وابن عمار وابن الأفطس وابن سالم ومنذر بن سعيد وابن أيمن وابن اللبانة وابن عبدالبر والفرضي وابن سعيد المؤرخ وابن حيان وابن القوطية وابو عبيد البكري صاحب (معجم ما استعجم) و (المسالك والممالك) وابن الطفيل صاحب (رسالة حي بن يقظان) وفيها اشارات لمذهب النشوء والارتقاء . ومنهم البطليوسي وابن تومار وابن هود والنحلي والاشبوني والقسطلي وابن لبون وابن رزين والثمري والسرقسطي وابن القلاس والقصاعي والبهاري والحجاري والداني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

والبلنسي والطليطلي وغيرهم وما منهم الا منشىء مجود ومؤلف جزل العبارة رشيق الالفاظ . ولا غرو فان الاندلس اخرجت للادب رجالاً عظاماً ، تشم من مكتوباتهم أرج الغرب ، وقد جمع احد علماء المشرقيات من الاسبان تراجم الاندلسيين من العرب فكانوا ثلاثين الف عالم واديب وفقيه ومهندس وطبيب الخ من اصحاب المنزلة وترجم الفتح بن خاقان (٥٣٥) (صاحب قلائد العقيان) و(مطمح الانفس) لبعض اولئك الادباء بالاسجاع المطبوعة كما ترجم لهم ولغيرهم ابن بسام في (الذخيرة) واشتهر بالوزارة من الكتاب المحودين في بغداد الوزير علي بن عيسى والوزير ابو الحسن بن الفرات . ولعلي بن عيسى (مذهب في الترسل لا يلحقه فيه احد ولا ابن الفرات) ومنهم ابو علي محمد بن خاقان ومحمد بن عبد الملك الزيات الى غيرهم من الكتاب النابهين والحاملين وربما كان في الحاملين من هم أعلى كعباً من النابهين

وممن اشتهر بنثره في هذا العصر الحريري (٥١٠) صاحب (المقامات) و(درة الغواص) . وقد رزق بالمقامات الحظوة التامة ولكنها ايضاً من النثر المتكلف لا المرسل ولو خيرنا بين نثره ونثر حجة الاسلام الغزالي (٥٠٥) لاخترنا كتابة الغزالي ولا سيما في الجزء الثالث من (الاحياء) ورسائله التي أبان فيها عن طبعه خصوصاً (التفرقة بين الاسلام والزندقة) و(تهافت الفلاسفة) و(الرد على الباطنية) او نثر الراغب الاصفهاني في (الذريعة الى مكارم الشريعة) و(تفصيل النشأتين) و(المحاضرات) او الماوردي في (ادب الدنيا والدين) و(الاحكام السلطانية) . وفي كلام الحريري سعة من التعمل قد يصل اليه معظم من جمعوا ادواته من اللغة وكلام العرب لو شاؤوا ان يحصروا وكدهم ويتعملوا في منثورهم . وكان ابن الخشاب يقول ان الحريري رجل مقامات اي انه لم يحسن من الكلام المنثور سواها فان اتى بغيرها فلا يقول شيئاً . ولعل جار الله الزمخشري (٥٣٨) يفوقه باجادة صناعة النثر فسجعاته في (تفسيره) و(المفصل) و(أساس البلاغة) و(مقاماته) و(اطواق الذهب) و(الكلم النوابغ) و(الفائق) في الغاية من الرقة والجزالة وكانت بينه وبين رشيد الدين الوطواط صاحب (الرسائل) المطبوعة المسجعة محاورات ومرادات . والزمخشري ارقى بياناً واوسع علماً . ويعد في كتاب هذا القرن ابو الفرج بن الجوزي (٥٩٧) الواعظ المؤلف فانه خلف كتباً كثيرة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنها كتاب (الاذكياء) و(اخبار الحمق والمغفلين) وامثال هذه الكتب اشبه شيء بما يطلق عليه الافرنج اسم (Folklore) اي العادات والتقاليد ومن مثل هذا كثير في العربية مثل اخبار (عقلاء المجانين) للحسن بن حبيب المفسر . وقد حدثنا التاريخ ان كثيراً من الكتاب ولا سيما في القرون الاولى وضع حكايات اشبه شيء بقصص الغربيين اليوم يقصدون بها تلقين فكر ، او بث دعوة ، او احداث مشغلة للعامة ، لصدهم عن البحث في شأن مهم للدولة ، وقد صنفوا كثيراً في الاسمار والخرافات منها ما عربوه عن فارس والهند والروم وبابل ومنها ما ابتدعوه ومنهم من كتب روايات غرامية ذكروا فيها اخبار العشاق الذين عشقوا في الجاهلية والاسلام ومنهم من ذكر الحبائب المتظرفات او اكتفى باخبار العشاق الذين تدخل احاديثهم في السمر . وصنع المتأخرون قصة الف ليلة وليلة فاشتهرت في الغرب ، ونقلت الى معظم لغات اوربا ، كما اشتهرت في الشرق العربي ومثل ذلك يقال في قصة السندباد البحري والظاهر وتغريبة بني هلال الى غير ذلك مما لا يعد في الادب الراقي لانه كتب للعامة ولم يكتبه كتاب مجودون

وممن نشأ في هذا القرن ضياء الدين بن الأثير صاحب (المثل السائر) فهو ايضاً كاتب مسجع مبدع وهو الذي تصدى ابن ابي الحديد المدائني لمؤاخذته والرد عليه وعنته وجمع هذه المؤاخذات في كتاب سماه (الفلك الدائر على المثل السائر) . وسيد المنشئين على التحقيق في هذا العصر القاضي الفاضل وزير صلاح الدين ، فهو حجة المنشئين سواء توسل بالسجع او تخلى عنه ، مع انه لم يكن يفارقه على الاغلب ، ولو انتهت الينا رسائله كلها لجاءت بضعة مجلدات والقليل المقتبس منه في صبح الاعشى (ورسائله) المخطوطة وما نقل له في (الروضتين) مما تنبسط له النفس ويجيء بعده في المرتبة عماد الدين الكاتب الاصفهاني فهو سالك طريقته ، ولكنه في دعواه التفوق على غيره من الكتاب اشبه الناس بصاحب المثل السائر . والدعوى تذهب ببهجة العلم وان كانت صحيحة . وكتاباه (الفتح القسي) و(زبدة النصرة) نموذج ادبه ، وراموز صالح من سجعه وترسله ، وقد نشأ في عصر القاضي الفاضل والعماد الكاتب ، كاتب هزلي اسمه الوهراني (ركن الدين ابو عبدالله محمد ٥٨٥) عمل (المنامات والرسائل)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المشهورة التي لم تطبع وذلك لانه ايقن لما دخل الشام مهاجراً من الجزائر ان بضاعته لا تنفق مع وجود القاضي الفاضل والعماد الكاتب وتلك الحلبة كما قال ابن خلكان في (وفيات الاعيان) فعمد الى الهزل ونفق سوقه ومنهم ابن منقذ صاحب كتاب (الاعتبار) ذكر فيه قصصاً في الشجاعة وقعت له ولاسرته اصحاب قلعة شيزر على عهد الحملات الصليبية الاولى وذكر شيئاً من عادات الصليبيين واخبارهم وشجاعتهم على صورة مستغربة ، ومنهم يحيى بن زيادة الشيباني انتهت اليه المعرفة بامور الكتابة والانشاء وابن الصيرفي صاحب (الاشارة الى من نال الوزارة) و (قانون ديوان الرسائل)

وممن كان في القرن السابع من الكتاب وسار على الطريقة الفاضلية في الانشاء محيي الدين بن عبد الظاهر (٦٩٢) وابنه محمد فتح الدين ويعد الاب والابن من واضعي نظام الانشاء في عصرهما والعصرين التاليين . وابن عبد الظاهر اضعف في البلاغة بما ورد له في صبح الاعشى من الفاضل والعماد ومن تقدمه في الميلاد . وممن عرف بالبراعة في تصوير البلدان والآثار عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف (٦٢٩) فان كتابه (الافادة والاعتبار) شاهد له بانه من خيرة البلغاء في عصره ومنهم الوزير عبد المحسن ابن حمو (٦٤٣) وبهاء الدين الاربلي والكمال ابن العديم (٦٦٦)

وتعد رحلة ابن جبير الكناني الاندلسي (٤١٦) الى الشرق من الادب العالي فقد وصف البلدان في عصره وصفاً فاق فيه من تقدمه مثل ابن بطلان وابن فضلان كما فاق من تأخر مثل العبدري (٦٨٨) والبلوي (٧٤٠) وابن بطوطة (٧٧٩) والزركشي (٧٩٤) وابن ابي البركات النجدي (٨٩٥) على أن الجمل التي أثرت عن ابن بطلان في مطولات الجغرافية ، وكانت رحلته من العراق الى الشام في النصف الاول من القرن الخامس — ثم عن أدب وفضل وذوق في وصف البلدان والسكان ، والقليل مما قرأناه من هذا القبيل في معجم البلدان ولاحمد بن فضلان — وكان المقتدر بالله العباسي ارسله الى ملك الصقالبة سنة ٣٠٩ هـ — يدل ايضاً على ذوق وفضل وعلم وادب

(لها تتمة)

محمد كرد علي

انظر ص ١٠٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net